فاصلة

محنة الكتابة هذه الأيام

بعد مرور مدة وجيزة على الانفتاح الذي أصاب حياتنا الكتابية، تلك المدة التي توهمنا أننا نكتب فيها بحرية وخضنا غمار حريتنا المزيفة هذه لنكتب ما نشاء وعمن نشاء، صرنا نتحدث هذه الأيام عن تلك الكتابات القليلة التي انجزناها على عجل ممزوج بخوف متأصل فينا من أننا نكتب في ظرف مؤقت نسابق الزمن لإحساسنا أن ممنوعات عديدة قادمة ستعيق وتطوق أهدافنا من الكتابة.

انتشرت لدى الكتاب مخاوف كثيرة من ظرف قادم أكثر صرامة وقسوة مما عشنا. وشيئا فشيئا تأكدت هذه المخاوف. ولم يمر زمن طويل على أيام الحرية القصيرة، حتى تكشفت حقيقة توقعاتنا. فكتابة هذه الأيام يجب ألا يتم التعامل معها بوصفها كتابة حرة أو أنها فعلا كتابات حقيقية كما يصدق البعض، أو أنها كتابة تعتمد العقل والحرية لأننا وجدنا أن هذه الكتابة مقصوصة الجناح تطير في حقل للألغام لم يرغب الكثير منا تصديق أننا نحيا فعلا فيه. فمعظمنا يعلم علم اليقين المشكلات جملة وتفصيلا، مشكلات سرقة بلد بحجم العراق ومشكلة الارهاب والفساد الاداري وتفتيت الفعل الثقافي، وتدمير مفاهيم عدة هي عماد وجودنا كوطن وهوية وثقافة. نعلم حدود وتفاصيل هذه المشكلات لكننا نكرر الكلام عن المشكلة مع معرفتنا ان الكلام والفعل يجب أن يدورا حول مواجهة المشكلة والتصدي لايجاد الحلول لها.

قاسم محمد عباس

لكن الحلول تدفع دائما تجاه تحديد الأسماء والأحزاب والمنظمات. وواقع الحال انت لا تستطيع أن تقدم نقدا لهذه المؤسسة لأنها تابعة للحزب الفلاني وبينك وبين هذا الحزب صلات وأحلاف، ولا يمكنك أن تقدم وثائق دامغة عن الشخصية الفلانية تكشف عن تلاعبات وسرقات علنية، لأنها شخصية محصنة.ولا يمكنك المجاهرة بسوء أداء تلك الدائرة لأنها ملحقة بفئة أخرى تستند إلى ميليشيا مسلحة، وأخرى لا تقترب منها لأنك ستتعرض لمساءلة لا تحمد عقباها، أما الحديث عن الثقافة وكتابة هذه الأيام فأمر يدخل في نطاق المحرمات. فمع انتشار كل الأفكار االخرافية والظلامية، وشيوع ثقافة تغيب العقل والوجدان الانسانيين، يغدو أي نقد مهما بدا يسيرا من عنديات الغرب والشيطان، وهو بالضرورة من الفكر العلماني الكافر. وغدا الكلام عن التسامح واشاعة الاختلاف واحترام ثقافات الآخرين تمهيدا لنشر الرذيلة والخطر على ما ترسخ من أفكار المجتمع. وفوق كل هذا يصر البعض على أن يتحدث عن الديمقراطية،وهو من دون أن يعلم، أو ربما يعلم، انه يقصد ديمقراطية الانتقاء، والازدواج، وغير ذلك من الخيارات المأساوية والمؤلمة.

فانكمش عدد من الكتاب والصحفيين من جديد وفقدوا حماستهم وتهاوت أحلامهم ليتوقفوا عن النشر، وربما الكتابة من جديد.وعدنا جميعا لكتابة عمياء عرجاء مسطحة بفعل الخوف من المجهول والقتلة وقطع الرزق. أنها المعادلة التي هددتنا وتهددنا وستبقى كذلك كما تشير الوقائع.

لن يسمح لك أبدا أن تكون كاتبا مستقلا، تكتب نقديا عن الخراب وسفك الدم والسرقة وضياع ذاكرة بلد. لن يسمح لك ان تسمي أحدا، لا تذكر الأسماء، لا تنشر الوثائق. انها كتابة لا ايمان فيها ولا ضمير ولا عدل.

مع ايماني بأن الكتابة الآن لا تجدي نفعا مع فوهات الموت والقتل ورسائل الرعب اليومي، ولكن الألم الحقيقي هو تقبلك لكل هؤلاء الدعاة اللصوص الذين يتحدثون عن العراق الجديد، فعليك وسط كل هذه الجغرافيا المقيتة أن تتخذ موقعا ما، موقعا تُعلم به الآخر أنك معه أو ضده ولا خيار لك غير هذا التبسيط في الموقف.

وجد البعض حلا لهذه الفوضى بكتابة مقالات عامة تلجأ لمعنى عامٍ متجرد، مقالات تتحدث عن كل شيء ولا تتهم احداً بشيء، فالكلام العام هو كتابة التوازن والتعقل والحكمة والروية، والكتابة التي تقول هذا هو القاتل وهذه هي الوثيقة كتابة متطرفة انشقاقية لا تنفع في هذه المدة وهي تضعف بناء البلد.

أننا لن ننجح ولن يجدي نفعا كل ما نكتب، فكلنا نتحدث ونكتب، ولكن هل نجرؤ على أن نضع أيدينا أو نشير إلى الواقفين وراء تدمير الثقافة وقدرات العراق، هل نجرؤ على القول أن هذه الجهة هي التي تقف وراء فتنة الذبح والخطف والابتزاز، هل نجرؤ على القول ان فلانا وفلانا هما من مؤسسي الفساد الإداري الذي بات يغطي حياتنا ومؤسساتنا وأغلب موظفينا الصغار والكبار منهم، هل على أن نكتب عن هؤلاء الذين الحقوا الثقافة بموازنات المحاصصة، وعطلوا وزارة بحجم وزارة الثقافة، هل نجرؤ على القول أن مديرا لمؤسسة فنية كبيرة حساسة في تاريخ ثقافتنا رجل أعمال ولا يفرق بين المسرح والسينما؟

هل نجرؤ على القول لماذا عاد المثقف والأديب يتزلف الى رئيس الوزراء أو أي مسؤول آخر بشكل أو بآخر.فحياتنا واقتصادنا وثقافتنا ومجمل مفاصل حياتنا، متهالكة وخاوية ومدمرة، دوائرنا ومؤسساتنا لا تقبل التعيين إلا بكتاب تزكية من هذا الحزب أو ذاك، فضلا عن مبلغ الرشوة المحدد بتسعيرة معروفة للجميع.

أنا هنا لا أتحدث عن قصص سمعت بها أو رواها لي غيري، وانما أتحدث عن وقائع حدثت معي وشعرت بالعجز الكامل عن نقدها، وحتى عن وصفها، ولم تنفع كل تلك الحيل الكتابية التي تعلمناها ايام زمان، فالجواب هذه الأيام يأتيك سريعا من الجهة التي تحاول أن تقترب منها، ولكنني تعلمت درسا جديدا أيضا عن الكذب والزيف وعن أوهام الكتابة وغاياتها،تعلمت ان العراقيين أهل كلام فقط، كلام في كل مكان ولا نتائج على أرض الواقع.

عن أي كتابة يتوجب الحديث، عن كتابة ترسم خريطة معقدة يتوجب السير على خطاها وهي أشبة بحقل الغام مليء بالمفاجآت في كل متر منها؟

كتابة هذه الأيام مضحكة مبكية، محايدة ومجردة لا تقل في انشائيتها عن الوصف العام، يمكنك القول أن هناك فسادا إداريا، وهناك تصفيات جسدية، وهناك من يقف وارء الفتن التي تعصف بنا، ولكنك تعجز عن ذكر ذلك بالأرقام والوثائق. ومن المفهوم ان نقد مؤسساتنا وما يحصل فيها يتوجب أن يقوم على الأدلة والوثائق، لكن لم تعد لهذه الأدلة والوثائق أية قيمة وأهمية.

الخيبة التي غطت حياتنا بعد أن تهاوت أحلامنا سريعا بسبب هذا الوضع الشاذ الذي نعيشه، انتقلت هذه الخيبة إلى كتاباتنا، ونفوسنا، وتعلمنا أن ليس هناك من حرية أو استقلالية، فالكل ينصب ويخطط، ويهادن ويوازن ويقصي العقل والضمير، طبعا كل ذلك وشعار إعادة بناء العراق وثقافته واقتصاده يرفع عاليا، ولكن على الطريقة الحالية: لا تقترب من هذا الحزب، لا تنتقد هذا المسؤول، لا تكتب عن الظواهر السلبية، والنتيجة هي كتابة عرجاء ظالمة تكذب على القارئ، وتستغفل عقول الناس.

من رصاصة الحرب الى مايكروسوفت العولمة

سحر الامكنة وسومرية الوجد عند نعيم عبد مهلهل

حوار: خضير الزيدي

روائي قاص شاعر ويكتب في النقد.
أصدر رواية ومجموعتين قصصيتين وله كتاب عن السياحة الروحية في الديانة المندائية صادر عن الجمعيات المندائية في أوربا.
ينشر في معظم الصحف العراقية والمجلات الأدبية.
ينشر مقالاته اليومية على شبكة الإنترنيت في عدة مواقع.
حاصل على جائزة الإبداع الروائي العراقي عام ٢٠٠٢
مهتم بالميثلوجيا السومرية والديانات الرافدينية القديمة.
ينشر كتابه عن الأهوار وعلاقتها بالميثولوجيا في حلقات بصحيفة الزمان.
نشر كتابه ثقافة الرسائل الإلكترونية بحلقات في صحيفة النهضة.
يعيش في مدينة الناصرية.

يحتل القاص المبدع نعيم عبد مهلهل مكانة في الوسط الابداعي العراقي وذلك لما انجزه من كتابات اخذت حيزا فعالا باهتماماتها بالحياة العراقية من كل الجوانب التي تجوب في الارث الحضاري بما يحمل من مضامين خلاقة على المستوى الانساني والوجودي.وهنا يبرز اسم الكاتب (نعيم عبد مهلهل)كواحد من المبدعين الذين ياخذون على عاتقهم حمل الرسالة الابداعية. في هذا الحوار ثمة ادلة على ما هو باطني استطاعت ذات يوم لغة هذا الكاتب ان تكشف عنها مؤكدة على ان الانسان ما هو في حقيقة امره الا فيض من الجمال الخلاق وروح تحمل من الاساطير والمخاوف والاوهام.

❖هل تعتقد ان زمن الرواية انتهى بعد هذه التوصلات العلمية لعالم الاتصالات والوسائل الحديثة؟

- لا أعتقد برغم ما يحدث وسيحدث أن مذهبا من مذاهب الحس البشري المقترن بتسمية الأدب يمكن أن يموت، قد يقال ان (الأساطير ماتت) وكانت يوما ما جنسا ومذهبا مهماً من مفاصل أدب العالم. أنا أرى عودة قادمة لها في ظل نزعة المتغير وشكله التغريبي، وكنت دائما من المعتقدين بان العالم يحتاج بالامس واليوم وغدا لمن يروي يومه وهاجسه ومعاناته. لهذا فأن زمن الرواية لم ينته ولن ينتهي.

❖من النص القصصي الى النص المفتوح كيف ستنتهي بك التصورات الفكرية او الجمالية الى افاق مفهوم الكتابة؟

-الكتابة هي أب قدري لكل ذي موهبة، وما تفعله هي إنها توصل القدر وبالمقدور فتظهر الفكرة بما نتخيلها ونريدها ومستويات تقبلها عند الآخر متفاوتة.

أنا أعتقد إن الموهبة عندما تصبح رصينة فهي قد لا تقف عند تخصص وتناول واحد وهذا ينطبق علي تماما. بدأت قاصا وروائيا وها أنا أمارس النقد والمقالة والشعر. ولدي رؤية خاصة للموروث السومري واهتم بالديانات الرافدينية القديمة وأكاد أقضي كل يوم في رسم معالم نص مفتوح أريد به أن أرى العالم كما تتخيله رغبتي ليكون. هذا ليس تنويعا بل يمكن أن أطلق عليه قدراً كتابياً ولو كنت أحس إزاءه بركاكة وضعف لتركته. لكن الرسائل والأصدقاء يقولون: أنت تفعل حسنا. وهذا يكفي لأذهب بعيدا ولا التفت إلى الوراء.

فكريا أفهم الكتابة على إنها صناعة وعي يفسر العالم بطريقة تندرج بمستويات عدة وفي النهاية ينظر إلى الكتابة على إنها الهاجس الوحيد الذي يمكن أن نفهم به حياتنا جيدا.جماليا، الكتابة سحر يمنح الوجود ماكان موجوداً ولم نره. كروتشه يقول: الجمال لب المعنى، ومطاف الكتابة هو المعنى.

❖هناك جذر (سومري)عالق في روحك وبالنتيجة عالق في نصك هل اصبح الموضوع من ثوابتك كقاص؟

- لا عيش دائم في الكتابة مع الثوابت مادام العالم يتغير مع كل رمشة عين. الثوابت موجودة لكنها تتطور وتخلع أردية وتلبس أخرى لتجدد روحها مستعينة بالذي مضى ومطورة لهاجسه. سومر بالنسبة لي هذا الذي مضى ولكن عطره باق. لقد حملت الروح السومرية صورة مشعة للمعنى ولهذا كان على الألوهية أن تنزل برؤى النبوة هناك. وكان هناك الحرف واللوح والأسطورة والنوتة الموسيقية الأولى ويكفي أن يقول العلامة صموئيل كريمر (إن التأريخ ولد في سومر).

لهذا فلقد جعلت من تلك الحياة حاضرة لما يعاش الآن مفترضا أن بندول الزمن واحد والعقارب تدور بخطوات جديدة وماكان في سومر هو اليوم موجود ولكن بأردية جديدة.

إنها جذورنا ونحن جديرون بها وهي جديرة بنا مادامت أشياؤها منبع حس كبير لهذا فان استحضارها هو استحضار لمخابئ الموجود. من رصاصة الحرب إلى مايكروسوفت العولمة ولكن المرء يحتاج إلى دراية في التوليف ومزاوجة ماكان موجوداً بالذي هو الآن وهذا ما أسعى إليه دائما في قصصي.

❖هل لنا ان ننتظر منك نصا روائيا يوظف الاحداث الاخيرة التي يمر بها العراق، وهذا الوضع هل تحتويه رواية تسجيلية؟

- أنا في طور إنجاز رواية عنوانها (دراويش تكية ١١ سبتمبر) واعتقد إنها تشكل هاجسا وطنيا برؤى روح تبحث عن أحلامها الوطنية من خلال جملة مشعة ورغبة ببلد سعيد.

❖بعدان مثل الزمان والمكان يلعبان دورا بارزا في متنك القصصي كيف نرى سحرهما عليك؟

- باشلار يقول: الزمان هو حضور الذاكرة والمكان هو الكرسي الذي تجلس عليه هذه الذاكرة. أنظر إلى هذه المقولة كلما بدأت بالكتابة. فالزمان هو بدء تتخيله وتعود إليه وما يتبقى يكون إنجازه مناطا بالمكان . أجد في الأمكنة مساحة للشروع بتخيل مالم يكن موجودا في سجل مشاريعي. رؤية زقورة أور تحوم فوقها الطائرات مكان يعود بك إلى أزمنة تستعاد بهاجس ينمو بانفعال ويهدأ على الورقة. إن سحر ما تمنحه الأمكنة يجعلنا نستعيد الأزمنة بيسر أياً كانت المسافة والمانع لهذا فانا أرى تاثيرهما في نصوصي كبيرا وهما من يصنعان ثيمة النص كما مع زقورة أور.

❖من من الاسماء الروائية العراقية والعربية يمكن ان تؤشر عليه؟

- في التسمية عليك أن تعتمد على من يؤثر فيك وقرأت لهم وهم كثر فالادب العراقي زاخر بعطاء لا ينضب وفي قراءاتي القصصية ترقد أجيال تحلم بمتعة تلقي نمط الكتابة وتنوعها لهذا حين أذكر أسماء فان القائمة تطول وأخشى إن أنسى أحدا.

عربيا. يبقى نجيب محفوظ صانعا ماهرا لخواطرنا القصصية الأولى ويشاركه في ذلك عبد الرحمن منيف وأدوار خراط وحنا مينا ويوسف إدريس وآخرون.

❖كيف جمعت بين نقيضين في جوانب الكتابة؟

- هذا عمل شاق ولكن للمتمكن يبدو مثل صنعة ولكن كلا الهاجسين هو نمط كتابي ويحتاج إلى أبداع واعتقد أن الاحساس بهما تحت وطأة التأثير الروحي والحياتي واحد وليس بينهما تواصل بل يشكلان كتلة واحدة تنطلق في فضاء صناعة الرقم والكلمة ويصلان في الوقت ذاته إلى النهاية التي يريدها كاتب النص ناقدا كان أم قاصا أم شاعرا. أما توفيق الجمع فهذا يعود إلى الموهبة والتمكن وفي ذلك يتباين الامر.

الناشط والصحفي العراقي

مصطفى الكاظمي يفوز بجائزة اتحاد الصحفيين العالميين

بغداد / المدى

فاز الصحفي العراقي والناشط في حقوق الإنسان مصطفى الكاظمي بجائزة اتحاد الصحفيين والكتاب العالميين والذي مقره نيويورك عن أفضل مقال لهذا العام ٢٠٠٥ . وقد منحت الجائزة التي تبلغ قيمتها (١٥) الف دولار عن مقال للكاظمي نشرته جريدة الشرق الأوسط وبعنوان : (التحول الديمقراطي في العراق ، صعوبة الخطوة الأولى) الذي نشر في شهر تموز الماضي .

وكان الكاظمي قد فاز بجائزة أفضل كتاب تم تأليفه من قبل كتاب لاجئين ، التي تمنح من قبل الاتحاد الأوربي، عن كتابه (انشغالات انسانية) كما عمل الكاتب على نشر النسخة الأصلية من كتاب : (علي سلطة الحق) للمفكر العراقي عزيز السيد جاسم.

الكاظمي صرح للمدى : انه تبرع بقيمة الجائزة المالية لمنظمات تهتم بقضايا معالجة سرطان الأطفال ، ودار الجوادين للأيتام وكذلك بمبالغ من قيمة الجائزة لأدباء عراقيين، اهتماما منه بالثقافة والمثقفين.

وتجدر الإشارة إلى أن مصطفى الكاظمي يشغل منصب مدير مؤسسة الذاكرة العراقية في بغداد .

مصطفى الكاظمي

أدونيس و"الهوية غير المكتملة":

سعيت لأن أحول العقل إلى غزال شارد

ابراهيم حاج عبدي

دمشق

ادونيس

لطالما أثار النص الأدونيسي . شعرا ونثرا . الجدل والنقاش، ومرد ذلك إلى أن أدونيس، في نتاجه النقدي والشعري معا، لا يخضع لأي سلطة، سوى سلطة المعرفة، ولا ينساق وراء أي إغراء سوى الانسياق وراء إغراء السؤال الذي لا يني يتجدد مع كل صباح. فالشاعر لا يطمئن الى معطى ثابت، ولا إلى حقيقة مطلقة، بل هو دائم البحث عنها لأنها (الحقيقة)، في رأيه، مخاتلة، نسبية، غير ناجزة، ومن هنا فان فضيلته الأولى هي البحث، والتقصي، والشك الذي لا يهدأ، إيمانا منه بان "الحقيقة التي تنتصر زائفة، ذلك ان انتصارها يختلس منها فضيلة البحث، والحقيقة هي البحث المفتوح عنها لا اكثر" كما يقول الناقد الفلسطيني فيصل دراج.

إن الكتابة على هذا النحو جلبت لأدونيس خصومات كثيرة، ولعل أساس هذه الخصومات يعود إلى بداياته الأولى حين انتسب إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي في أواخر الأربعينيات لكنه سرعان ما ترك الحزب بعدما تحول . كما يذهب الشاعر . "إلى مؤسسة كبقية المؤسسات ويحمل جميع أمراضها"، والمفارقة أن خصومه الكثر لا يستطيعون وضعه في خانة محددة، فالتهم، إذا كانت كذلك حقا، تتباين من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، فهو يتهم مرة بالشيوعية وأخرى بالقومية وفي ثالثة بالعدمية حتى انه يتهم بالأمريكاني، والخميني والمناصر للتطبيع. . .الخ

أدونيس يرى أن هذا الالتباس نابع من أن المثقفين العرب لا يفهمون معنى أن يكون الإنسان مستقلا "فأنا لم يحدث لي أن ارتبطت يوما بأي نظام سياسي عربي، ولم يكن هدفي أن انتقد الأنظمة. فمشكلتي أوسع من النظام" مشكلته حضارية ثقافية. بهذا المعنى هو شاعر يصعب تصنيفه، فهمومه مختلفة عن الهموم التي تشغل معظم المثقفين العرب، كما أن جانبا كبيرا من هذا العداء يعود إلى جرأة الشاعر في مقاربة اكثر القضايا حساسية مثل: الدين والتراث، والتصوف، والمرأة، والجسد، والجنس، والسياسة، كما هو الحال، في كتابه الجديد "الهوية غير المكتملة" الصادر عن دار بدايات (جبلة، سوريا ٢٠٠٥ م) إذ يواصل فيه أدونيس معركته الثقافية المزمنة.

ولئن صح بان أدونيس في هذا الكتاب الذي تمت صياغته على شكل حوار يدلي به للكاتبة شانتال شواف دون أن تدرج فيه الأسئلة، يعيد آراء معروفة له بتعابير أخرى، وفي سياقات مختلفة، فإن تأكيده على تلك الآراء والأفكار التي وردت من قبل في كتاباته لدليل على إخلاصه لتلك الآراء، وإيمانه بضرورة تكريسها، مع قناعة مطلقة (وربما هي القناعة المطلقة الوحيدة لديه) بان أحدا لم يقل الحقيقة مرة واحدة والى الأبد "ليست الحقيقة جاهزة مسبقا.يتعلمها الجميع مثلما يتعلمون في كتاب. الحقيقة لا توجد أبدا في كتاب، وإنما في الوجود، وفي الحياة، وفي التجربة. إنها بانتظار الكشف عنها دائما".

لعل عنوان الكتاب، الذي ترجمه حسن عودة، يفصح عن السؤال الإشكالي الأبرز في تجربة هذا الشاعر، وهو سؤال الهوية. فأدونيس طمس الهويات كلها ليختار لنفسه هوية تفصح عنها قصيدته، هوية تبحث عن الحقيقة فحسب. وهو دائم القلق أثناء هذا البحث فقد كتب في كتابه (مقدمة للشعر العربي): "حين تنغلق أبواب الحرية تصبح الخطيئة مقدسة"، وهو بذلك يسير على خطا جده أبي نواس الذي قال بدوره: "أنفت نفسي العزيزة أن تقنع إلا بكل شيء حرام "! وفق هذا الفهم لم ينظر أدونيس إلى التراث نظرة جامدة، بل حاول خلخلة هذا التراث ونزع صفة القداسة عنه ذلك أن التراث يحوي تعددا وتنوعا هائلا لا يمكن النظر إليه بوصفه واحدا، وقدم دراسات حول هذا التراث غيرت من خلالها المفاهيم الثابتة، ولعل دراسته "الصوفية والسوريالية " تعد واحدة من الدراسات المهمة التي يبين فيها تأثر السوريالية الأوربية في مطالع القرن العشرين بالصوفية الإسلامية العربية التي سبقتها بعشرة قرون.

وأحدث، كذلك، كتابه "الثابت والمتحول" ١٩٧٤ عاصفة نقدية إذ أسس لقراءة التراث قراءة حديثة شكلت انقلابا في بنية التفكير، فالمفكرون العرب . في رأيه . لم يطرحوا أسئلة عميقة على المادة الأساسية "الدين الإسلامي (الوحي)"، التي تكون الفكر العربي. وحين اصدر أدونيس "الكتاب: أمس المكان الآن" ١٩٩٥ أثار موجة جديدة من الغضب بحجة أن عنوان "الكتاب" يطلق على القرآن الكريم فحسب، لكن أدونيس يرد بهدوء من خبر التراث العربي الإسلامي: "إن تسمية الكتاب سبقت القرآن. الكتب سوابق. والقرآن سمى أصحاب هذه الكتب أهل الكتاب، وهو يعني أن ثمة كتبا سبقت القرآن. ثم جاء القرآن فسمي كتابا. وأتى سيبويه فسمى كتابه في اللغة العربية (الكتاب) و"الكتاب: أمس المكان الآن" هو التسمية الرابعة.

ويتهم الكثير من النقاد أدونيس على أساس انه يدعو إلى قطيعة معرفية مع التراث وهو ما يثير الاستغراب لدى النظر بموضوعية إلى مجمل ما كتبه أدونيس الذي أسهم . على عكس ما يقال . في إظهار جمالية هذا التراث وتنوعه وتعدده فهو يقول "لا تستطيع أن تخلق جمالا جديدا بلغة تجهل تاريخها الجمالي"، كما أن سيرته الذاتية توضح جانبا من "تعدد الهويات لديه"، فقد ولد الشاعر في قرية قصابين التابعة لمحافظة اللاذقية السورية عام ١٩٣٠ لأسرة فلاحية. تتلمذ على يد والده، وبرع في حفظ قصائد المتنبي والشريف الرضي، وتشرب بالتراث في سن مبكرة. التحق بمدرسة اللاييك في مدينة طرطوس (الليسيه الفرنسية) بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٦ وانتسب إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي عام ١٩٤٨, تخرج في جامعة دمشق حائزا الإجازة في الفلسفة سنة ١٩٥٤ وبعد الخدمة العسكرية الإجبارية غادر سورية إلى لبنان مع زوجته خالدة سعيد سنة ١٩٥٦ عقب اغتيال العقيد عدنان المالكي واشتداد القبضة على أعضاء الحزب الذي كان منتميا إليه، لتشهد بيروت ولادته الشعرية الحقيقية حيث نشر في صحافتها وخاض معارك فكرية كثيرة وساهم بقوة في الحياة الثقافية في بيروت عبر مجلة "شعر" أولا ثم مجلة "مواقف". غادر لبنان إلى باريس سنة ١٩٨٦ وعمل أستاذا زائرا في جامعة السوربون وغيرها من الجامعات الأوربية، ولمع اسمه كواحد من الشعراء الكبار وترجمت أشعاره إلى مختلف اللغات الحية. إن هذه المحطات وغيرها منحته هوية مفتوحة بحيث لم يعد ممكنا تحديدها إلا بالشعر، والشعر رحب رحابة الحياة.

من الصعوبة بمكان اقتباس عبارات مختصرة من هذا الكتاب، الموجز والمكثف، وإدراجها هنا كشواهد خارج السياق الذي أتت فيه، لكن يمكن المجازفة قليلا. يضع أدونيس في الكتاب تصوره لروحانية الألفية الثالثة، إذ يقول "لعل الأدب، والشعر بوجه خاص، هو الميدان الذي يتحتم علينا أن نبحث فيه، وان نحدد ما يمكن ان تكون عليه، روحانية جديدة، انبعاث روحي جديد، يبث الدماء في عروق كوكبنا الشائخ"، معتبرا ان العنف السائد من حولنا متجذر في المحظورات الدينية "فإذا لم نعد التفكير بأساس هذا العنف، ولم نتبين بأنه متجذر في الدين، فلن يكون بمكنتنا التخلص من العنف ولا من الحرب" لافتا إلى أن المحظور الوحيد الذي ينبغي مراعاته لمواجهة العنف، والذي لا يلتفت إليه أحد هو:"لا تقتل".

وفي معرض حديثه عن تقويض الأبوة الكليانية وضرورة تدميره في المجتمع العربي يقول "جميع الزعماء العرب آباء، آباء سيئون، آلهة صغار"، لا يعرفون سوى الاستبداد، وإلغاء الآخر: "الأبناء والبلاد والجيش والحاضر والماضي تدور جميعها حوله، حول الأب . الرئيس، الذي انتصر، أما الشعب فليس سوى وسيلة. فالمواطنون يستمدون قيمتهم بحسب صلاتهم مع الزعيم (الأب)، وبحسب خضوعهم له"، وهذا عنصر جوهري في الحضارة العربية بحسب رأي أدونيس الذي يصف التاريخ العربي بأنه تاريخ حروب متواصلة.

وكان للغرب دور في ذلك، فالغربيون أيدوا الأصوليين دائماً، والمعادين للديمقراطية والدكتاتوريين. ليؤكد "أجل! كل شيء يحتاج إلى تغيير في مجتمعنا" ويضيف "لفهم شعري بنحو أفضل، لابد من رؤيته من هذا المنظور، وملاحظة أنني أعيش في مجتمع ينبغي إعادة بنائه كليا، مجتمع أضع ثقافته وسياسته موضع البحث والنقاش". وهو يطالب بفصل الدين عن الدولة كي تتنفس الشعوب العربية قليلا من الحرية، ويجهر بان ليس بوسعه الارتباط بأي نظام سياسي عربي لان طبيعة هذا النظام مضادة للواقع، وهو يعلم بان عدم الولاء يقود إلى تهميش المرء لدرجة ان منحة دراسية لا تمنح إلا لاعتبارات الولاء السياسي. معتبرا ان هذا النظام قَبَلي وشعاراته الكثيرة من قبيل، القومية والاشتراكية والحرية...ليست سوى هذر.

. وإذا كان التصنيف السائد هو ان الرجل خير والمرأة شر فكيف للشر ان ينجب الخير؟ يتساءل أدونيس، مشيرا إلى أن التعميم الغربي في رؤية العرب خاطئ إذ "ينبغي عدم مماهاة المسلمين بالأصوليين أو مماهاة الشعب بالنظام". وهو حين ينتقد الغرب فانه يقصد الغرب العسكري الاقتصادي، أما حين "أتحدث عن الشعر والفن والفلسفة والإبداع فان الحدود تنمحي بين ما يسمى الشرق والغرب، هذا ان وجدت يوما، تلكم هي الصوفية التي أؤمن بها. وها هنا أكون صوفيا. الكائن واحد. والمعرفة والعلم والفلسفة إنما هي واحدة لا انفصام لها"، داعيا إلى احترام الإيمان لدى جميع البشر لكن دون مؤسسة "أنا شخصيا اقف ضد الدين بوصفه مؤسسة مفروضة على سائر أفراد المجتمع، ولكنني لست ضد الإنسان الذي يمتلك إيمانا دينيا بوصفه فردا".

ويرى أدونيس أن من الضروري في الأدب "خلق مسافة بين الكلمات والأشياء، لأن لصق الكلمات بالأشياء أشبه بمن يلصق وجهه في المرآة، فلا يعود يرى أي شيء، وقد سعيت في كل تجربتي الفكرية والشعرية، إلى أن أحول العقل إلى غزال شارد. أن أسكب داخل العقل خمرة القلب، حتى ينتشي مثلما ينتشي القلب". ووظيفة الشعر . بحسب أدونيس . هي أن يهدِم، أن يزيل الأقنعة. أن يكون دائماً إلى جانب البلبلة والإقلاق والزلازل الثقافية.

وهو يستعيد بنبرة حانية جانبا من محطة الطفولة إذ يتحسر قائلا "لم أعش طفولتي كما يعيشها الأطفال في المجتمعات الحديثة، فأنا ما عرفت قط سن الطفولة. كانت أمي شجرة بالنسبة إلي، شجرة ناطقة، نهرا، نهرا لم يتوقف عن الجريان. كانت بالنسبة إلي جزءا من الطبيعة، ولكنها كانت طبيعة حية، وبهذا المعنى فقد أثرت بي كثيرا دون أن تتفوه بكلمة". في حين ان والده فتح له الطريق إلى الشعر وهو مدين له بثقافته الأولى."إذ علمني ما هو جوهري: اختيار طريقنا بحرية". وبهدي من هذه النصيحة اختار أدونيس اسما حرره من هويته الدينية، أدونيس بدل علي، لينفتح على كل ما هو إنساني، وتعلم ان الهوية إنما ينبغي خلقها وإعادة خلقها باستمرار، والهوية الثقافية التي يعتز بها الشاعر، إنما هي حوار، تآلف بين الأنا والآخر.

ثمة بوح صادق، وأصداء كلمات جارحة تتردد صداها في حقول المحظور والممنوع والمسكوت عنه، وفي هذا البوح، بوصفه بوحا، يقول أدونيس كل ما يجول في ذهنه من هواجس وآلام ومخاوف، ويزيل الأقنعة عن الثوابت وعن الموروث الديني والأخلاقي التقليدي، ويعانق الثقافة الإنسانية بكل رحابتها، ونبلها، ولا يتوانى عن خلخلة البنيان الصنمي والثابت للثقافة العربية السائدة. وهو في كل ما يكتبه يشعر القارئ بالتحرر كما تقول شواف، وتضيف "حين يتكلم تفاجأ بان العالم يتسع أمامك".